

الجانب البراغماتي لنظريات كشف الكذب في الفكر المعاصر

*The pragmatic aspect of lie detection theories in contemporary thought*كنزة سليمان¹، جريدة جاري²¹ قسم الفلسفة، جامعة الجزائر 2، الجزائر، kenza.slimani@univ-alger2.dz² قسم الفلسفة، جامعة الجزائر 2، الجزائر، djaouidadjari@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2026/04/12

تاريخ القبول: 2026/02/15

تاريخ الاستلام: 2025/10/30

ملخص: منذ ظهور الجريمة و الإنسان يحقق في الوقائع و الأحداث و الأقوال و، و درج على افتراض الكذب في اللغة المنطوقة، و بناء على هذه الفرضية بحث عن سبل لكشفه لمساعدة أجهزة العدالة من جهة، و لإعطاء مصداقية و ثقة لما توصلت إليه الأبحاث العلمية، فدأب على استخدام الوسائل التقنية مثل "البوليغراف" و الوسائل الطبية مثل العقاقير المنومة، إلا أنه مع المناداة بحق الإنسان في الإدلاء بتصريحاته دون التعرض إلى أي نوع من أنواع الضغوطات، أو التهديدات، أو التعذيب فإن علم نفس الجريمة نجا منحنى آخر في طرحه للكذب فلم يعد ينظر إليه كظاهرة مرضية، و بالتالي تجاوز الطرح الباثولوجي للكذب إلى الطرح السيئزولوجي: أين صار يعترف بظاهرة الكذب و يتعامل معها كواقع باحثا عن مسبباتها و نتائجها، ومنه بحث في باب الإنفعالات وكيف يمكن أن تعبر عما يحفيه الشخص و ظهرت بناء عليها نظريات لغة الجسد body language التي تبحث في مطابقة القول مع الحركة kineme منقسما إلى فرعي: الكينيزياء و البروكسيميكيا، و هذا البحث محاولة للإجابة على السؤال الاتي: فيم يكمن الوجه البراغماتي لنظريات الكينيزياء و البروكسيميكيا في الفكر المعاصر؟

كلمات مفتاحية: كذب، كشف، لغة الجسد، بروكسيميكيا، كينيزياء براغماتية.

Abstract:

Since the emergence of crime, the human being, within the framework of giving every rightful person his right, has investigated facts, events, and statements. He has been accustomed to assuming lies in spoken language. Based on this hypothesis, he has searched for ways to uncover it to help the justice apparatus on the one hand, and to give credibility and confidence to what scientific research has reached. He has continued to use technical means such as "polygraphs" and medical methods such as sleeping drugs. However, with the call for the human right to make his statements without being subjected to any kind of pressure, threats, or torture, the psychology of crime took another turn in its presentation of lying, and it was no longer seen as a pathological phenomenon, and thus it went beyond the pathological approach to lying to the synergological approach. Where he began to recognize the phenomenon of lying and deal with it as an incident, searching for its causes and consequences, including research into the chapter on emotions and how they can express what a

person harbors, and based on them, theories of body language emerged that investigate matching speech with movement, divided into the branch of kinesics and the branch of proxemics. and this research is an attempt to answer the following question: What lies the pragmatic aspect of the theories of Keynesia and Proximica

Keywords: lying; Detection; body language ; proxemics; keywords. Pragmatic ; kinetics

*المؤلف المرسل

1. مقدمة :

شكل الذكاء الاصطناعي جرحاً نرجسيا عميقاً للفكر المعاصر بما أسهم به من مجهودات، ليثبت أن التقنية جاءت لتمتين قدرات الإنسان، وأن كل النظريات التي توصل إليها الفكر العربي المعاصر -مهما تعددت مشاربه من فلسفة أو علم نفس أو انثروبولوجيا أو سيمياء- ظهرت بشكل القزم أمام عملاقة الذكاء الاصطناعي الذي راح يوظف أية فكرة لتسخيرها لخدمة الإنسان في الطريق البراغماتي، وفي نفس الطريق أردنا إدخال الأبحاث النظرية في الجريمة إلى هذا الطريق النفعي بما تحمله من ضمانات ممنوحة للمتهم كحق من حقوق الإنسان في التصريح بأية معلومة صادقة أو كاذبة، أو عدم التصريح أيضاً، وضمانة عدم الضغط عليه أو إكراهه لاستللال التصريحات بواسطة التعذيب أو العنف أو جهاز كشف الكذب أو العقاقير المنومة، فصارت هذه الضمانات الممنوحة للمشتبه فيه أو المتهم في عدم التصريح أو التصريح الكاذب في مرحلة التحقيق معه بالاستجواب والمواجهة، معيقة للبحث عن الحقيقة فوقع على عاتق الجهات القائمة بالتحقيق مهمة أثقل وهي الوصول إلى الحقيقة بالطرق المشروعة قانوناً بغربة كل ما يرد عليها من تصريحات، ومقارنتها، ومواجهتها مع كل ما يرد في الملف القضائي من ملابسات.

ولعل علم الإجرام المعاصر تطور بتطور الجريمة مادياً وافترضياً، وقد ساهم في الوصول لحل عدة أُلغاز جرائم طال التحقيق فيها وذلك عن طريق فرع معرفي معاصر وهو لغة الجسد: (Body Language) الفرع اللغوي الذي ظهر مؤخراً في الولايات المتحدة الأمريكية معتمداً على منهج التحليل النفسي وقطاع اللاوعي، وانتشر بشكل سريع في القرن الماضي، والمعتمد على لغة الجسد أكثر من لغة اللفظ في فهم المعاني والدلالات بعد أن أثبتت لغة اللسان قدرتها على لزوم الصمت وعلى الكذب، وعلى كشف أنصاف الحقائق، كفرع معرفي يضم قسمين هما: الكينيزياء (Kinesics) الدارسة لدلالة إيماءات الوجه وحركات الرأس، وطريقة الوقوف والجلوس واستخدام الأطراف من طرف الجسد البشري تعبيراً عن انفعالاته من جهة، والبروكسيميكيا (Proxemics) الفرع العلمي الذي يدرس دلالة المسافة بين الأشخاص.

ومن هنا، اعتمد التحقيق القضائي المعاصر على دراسة لغة الجسد وتطبيقها في مجال البحث والتحقيق في الجريمة، ولأجلها اخترنا هذا الموضوع مبتغين إجابة عن الإشكالية الآتية:

ما هو الجانب البراغماتي للكينيزياء و البروكسيميكيا في الفكر الفلسفي المعاصر؟

وللإجابة عن هذا التساؤل قمنا باستخدام منهج التحليل النقدي للنظريتين : الكينيزياء ,و البروكسيميكيا عن طريق تحليل عام لمفهوم لغة الجسد بفرعها ,و التوقف عند التمييز الضروري بين الانفعالات الإرادية التي تصدر عن الجسد بشكل عفوي ,و بين كل الاشارات التي تعتمدها السينرجولوجيا la synergologie " أو لغة الجسد ,كما استخدمنا المنهج المقارن عند مقارنة عدة مؤلفات معاصرة ببعضها، وقمنا باستخدام المنهج الاستنباطي متبعين فرضية أن علم الإجرام المعاصر توصل في تطبيقاته إلى استخدام لغة الجسد لحل ألغاز عدة جرائم والتوصل إلى الحقيقة إنصافاً للحق وللعادل. ولأجله قسمنا عملنا إلى نقطتين مهمتين: الأولى هي دور "الكينيزياء" في كشف الكذب في علم الإجرام المعاصر، والثانية هي دور "البروكسيميكيا" في كشف الكذب في علم الإجرام المعاصر وفق ما يلي:

2. الكينيزياء وتطبيقاتها في الفكر الفلسفي المعاصر

نتعرض في هذا الجزء من البحث إلى مفهوم لغة الجسد كمجال خصب للتعبير عن الانفعالات في مرحلة أولى، ثم نمر إلى تطبيقاته في علم الإجرام المعاصر في مرحلة ثانية.

1.2 مفهوم الكينيزياء

يدخل في مفهوم "الكينيزياء" حركة الرأس وتعبيرات الوجه والوقف، وغيره من الإشارات، كمبحث جاء به المفكر الأنثروبولوجي الأمريكي "راي بيرد ويستيل (Ray Birdwhistell) "تأثراً بالأبحاث التواصلية الواردة في نظرية بالو ألتو (Palo Alto) فالجسم البشري يمتلك قدرة هائلة في إنتاج عدة تعابير بواسطة: وجهه، ويديه، ورجله دون الحاجة إلى الكلام، وهي سلوكيات فطرية. فيمكن تمييز انفعالات الفرح عند كل الشعوب والتي تظهر بارتخاء العضلات المحيطة بالفم، وظهور الشفاه وتوسع منطقة العين كمتلازمة للارتياح وتسترخي معه عضلات الوجه، فيميل الرأس كاشفاً عن الرقبة¹.

وهي تلقائية لا يمكن التحكم بها كون أن بؤبؤ العين مثلاً يستجيب للمحفز الخارجي كالضوء، وللمحفز الداخلي كالأفكار فيتوسع مع الفرح ويتقلص مع نظرة متشنجة. وقد استخدم التسجيل البصري لمنظر بؤبؤ العين عند الاستجاب والذي يتقلص بسرعة وترمش العين عند ذكر واقعة أو شخص ما، وكانت أحياناً الإشارة الوحيدة التي بدأ من خلالها التحقيق ليكشف مع ملابس أخرى سر الجريمة².

وكما هو الحال بالنسبة للقلق والحزن، فقد جرى تعليم الأطفال منذ الصغر الكذب عن طريق لغة الجسد بعدم التجهم عند منظر الطعام الذي لا يعجبهم، كنوع من أنواع إخفاء الانفعال، إلا أن الجسد البشري يعبر بحركات أخرى عن انفعال الاشمئزاز بطرق تعبيرية جسدية أخرى. من حيث التطبيق يمكن توجيه السؤال إلى المشتبه وملاحظة السلوكات الصغيرة جداً المتصدرة على محياه وزمنها، فالتجاعيد الواردة على الجبين عبارة عن بصمة زمنية تعبر عن الوقت الذي أمضاه الإنسان، وفي كل مرة يتغير شكل الحاجبين تتغير الرسالة التي تؤذيها هذه الحركة. فالحاجبان المائلان دلالة على الغم والحزن، والحاجبان المرفوعان عبارة عن تعبير عن الاندهاش والترحيب والشعور بالمفاجأة³.

و تجدر الإشارة إلى أنه ينبغي التمييز بين الانفعالات التي تصدر عن جسم الانسان، وهي الانفعالات الستة المعروفة عالمياً، وبين لغة الجسد الفرع المعرفي الذي يعتمد على الانفعالات و على السياق الذي وردت فيه من جهة و على المسافة أيضاً ،

2.2 تطبيقات "الكينيزياء" في الفكر الفلسفي المعاصر

يمكن تزليف نظريات الكينيزياء في علم الاجرام المعاصر من حيث أن ذكاء المحقق سواء كان ضابطاً أو قاضياً مرتبط بعملية إحلال التوازن بين انفعالات المحقق، وبين انفعالات الشخص محل التحقيق، وهو مرتبط أصلاً بطريقة النظر إليهم وملاحظة التفاصيل المتعلقة بلغة الجسد. ومثال ذلك الشفتان اللتان يتم الضغط عليهما من كل ناحية عن طريق اليد أو الأصابع كحركة لا واعية من الجسد للاختباء، والهروب من ضغط يتعرض له الجسد، ومن خطر يقوم الجسد بإخفاء تعبيراته إزاءه بدل القدرة على مواجهة الخطر، وذلك عند مواجهة المشتبه فيه بواقعة متعلقة بالجريمة في التاريخ والمكان المحددين علمياً عن طريق تقنية التوقع التي يمكن كشفها عن طريق تسخيرة من طرف النيابة إلى متعاملي الهاتف النقال، وبموجب جدول يكشف كل المكالمات الصادرة من هاتف المشتبه فيه ومكان تواجدته وتموقعه، وعلاقته بالمشتبه بهم الآخرين

في نفس التوقيت. خاصة وأن توقيت الجريمة عادة مرتبط بغياب الأعين أو الكاميرا أو الضوء وحتى غياب الشهود.

فالإنسان يحاول مثل سائر الحيوان حماية نفسه عن طريق صنع قوقعة بأطرافه عند شعوره بالخطر خاصة وأن جسمه عار من أية قوقعة ما عدا عظام الجمجمة التي تحمي الدماغ، والقفص الصدري الحامي للريتين والقلب، والنتوءات الخمس على وجه الإنسان التي تحمي العينين: عظمتي الحواجب، وعظمتي الخدين، وحرف الأنف. وهذا التكوين المورفولوجي مستند أيضاً إلى حركات دفاعية، وأخرى هجومية، فالدفاعية تشبه عادة صورة ملاكم يحاول حماية رأسه عند تعرضه للضرب، وهي صورة منظر الشخص المتعرض للحريق بتقديم حركة شبك الذراعين أمام الوجه حماية للرأس من الحريق فيتفحم بتلك الصورة كدلالة على أن مصدر الحريق كان خارجياً عنه.

فحركة مثل جذب الحلي الموجود حول الرقبة باستمرار يعبر عن الاختناق وبأنها محل مضايقة من شخص يضيق بأسئلته مجالها الحيوي ويهددها. وتستند بعض الأبحاث المعاصرة على دور الأنف في كشف الكذب استناداً إلى قصة "بينوكيو" إلا أن ذلك غير مؤسس علمياً.

ولعل من بين أهم الأسماء في الفلسفة الأمريكية المعاصرة في تحليل بيانات الحركات الصادرة عن الجسد ودورها هو المفكر "بول إيكمان" (Paul Ekman) والذي ينص على أن كل حركات الخداع والتمويه والتظاهر والتهرب تدخل في سياق الكذب، كتجنب النظر في العينين عند المواجهة، والنظرة من أسفل إلى أعلى من طرف المشتبه فيه التي تمثل نظرة الطفل عند ارتكابه حماقة ما. فالكذب عادة يؤدي إلى تصلب الشفة العليا للفم، بينما تتحرك الشفة السفلى، ولذلك يتلحس كثير من الأشخاص شفاههم أثناء الكلام تعبيراً عن خوف أصله العلمي هو أن الخوف يسبب جفاف الفم والغدد اللعابية التي ينقص عملها بسبب الضغط، فيحاول الشخص تبلييل شفثيه وبلع لعبه تعويضاً عن حالة نقص اللعب⁴. فاللعب عادة يسري بشكل تلقائي حين نقول الحقيقة، بينما نراه يجف تدريجياً عند الكذب كون أن الكذب يولد شعوراً بتأنيب الضمير، فيشعر بالاختناق، ويبدأ في إنتاج اللعب أكثر وابتلاعه بشكل متكرر وسريع⁵.

وتوجد ثلاثة أصناف من الحركات تدخل في سياق الكذب، منها الحركات المضللة التي توهي بالراحة في وضع خطر، وبالفرحة في وضع خوف، وبالهدوء في وضع حرج. وصنف ثان هو الحركات التي تشبه التلبس والغموض والتي يصعب فهمها عمداً ولا علاقة لها بالسياق. وهناك إشارات تغير معنى السياق فمثال ذلك

مشهد شخصين يتعاركان وعلى وجهيهما ابتسامة لتفهم أن المشهد هزلي. وتجدر الإشارة إلى أن دقة الملاحظة ضرورية جداً، فالشخص محل التحقيق أو الاستجواب والذي يحول نظره عن مستجوبه دلالة على الرغبة في تغيير الموضوع وطمس الواقعة المحقق فيها⁶.

وتجدر الإشارة أن اعتراف الجريمة قد يوازيه اعتراف للكذب عن طريق لغة اللسان أو الكلام، أما اعتراف الكذب عن طريق افتعال الانفعالات فهو غير ممكن، كون أن الجسم البشري يملك نظاماً معقداً جداً من التعبيرات الجسدية، وهو صعب للتحكم فيه. لذلك يلجأ الشخص الذي يحاول إخفاء الحقيقة إلى تعطيل حركة يديه فيشبك أصابعه ويثبت يديه جيداً أو يضعهما في جيبه ليكبح حركة اليدين السريعة والمعبرة عن ارتفاع هرمون الأدرينالين "هرمون الكر والفر" المعبر عن حالة الخوف والخطر، والمؤدي إلى سرعة الحركة وكثرتها، ومنها النظر واليدين وابتلاع الريق ولمس الأنف وحركة وضع اليد وراء الأذن وإخفاء باطن اليد⁷. فالتحقيق مجال للتأمل في حركات جسد المشتبه به والذي يجب أن تكون محل مراقبة وتسجيل بكاميرات لتحليلها لاحقاً، ومجال للاستماع إلى الجسد كصوت له دلالة⁸.

ولعل التطبيق العملي للكينيزياء (Kinesics) من خلال العمل السابق بالمباحث الفيدرالية الأمريكية "جو نافارو" الذي سرد مثلاً كالآتي: أنه هناك مشتبه فيه لا دليل على إدانته، وبدا الصدق عليه، وقد راح يسرد تفاصيل يوم وقوع جريمة القتل، وتواجهه خارج مسرح الجريمة، ومع ذلك بقي عميل المباحث الفدرالية يصبر عليه موجهاً السؤال المتعلق بسلح الجريمة كالآتي:

❖ إذا كنت أنت من قام بارتكاب الجرم، هل كنت تستخدم بندقية؟

❖ إذا كنت أنت من قام بارتكاب الجرم، هل كنت تستخدم خنجرًا؟

❖ إذا كنت أنت من قام بارتكاب الجرم، هل كنت تستخدم معولاً؟

❖ إذا كنت أنت من قام بارتكاب الجرم، هل كنت تستخدم مطرقة؟

وبينما كان العميل يسرد أدوات الجريمة المقترحة لاحظ من خلال الكاميرا أنه عند ذكر المعول انخفضت عضلة فوق عيني المشتبه فيه، وبقيت منخفضة إلى غاية المرور إلى الاقتراح الموالي⁹.

وهو نموذج عن حالة تطبيقية استطاع من خلالها الفكر المعاصر من إيجاد تطبيقات لنظرية السينرجولوجيا بربط عدة تقنيات ببعضها للتوصل إلى الحقيقة وهي : الإستجواب دون الضغط على المشتبه فيه ، و رصد إنفعالاته الجسدية الدقيقة جدا ، و تسجيلها للرجوع إليها عند التحليل ، و ربط ذلك بمتغيرات للسياق ، وهذا ما جعل من عميل الشرطة الفدرالية الأمريكية " جو نافارو " أكثر صيتا من خلال توظيفه لهذا الفرع المعرفي في مجال الجريمة ، فأعطى لمؤلفاته بعدا تطبيقيا للنظرية التي بقيت لقرون رهينة العلوم النظرية البحتة.

فالانفعال أبلغ من الكلام. وكمثال آخر يسرد أنه في إطار تحقيق في قضية أخلاقية، وفي خضم التحقيق راح المشتبه فيه يسرد وقائع منطقية من الأحداث التي مرت معه يوم ارتكاب الجريمة: فهو لم ير الضحية، وبأنه كان متواجداً في أحد المزارع خارج البيت ثم توجه يساراً ثم سار مباشرة إلى بيته، وبينما كان فريق التحقيق يدون الملاحظات تم ملاحظة متعلقة بوجهة يد المشتبه فيه التي أشارت إلى اليمين - بيت الضحية: مسرح الجريمة - بينما تحدث بلسانه عن اليسار، وهو ما عزز الشك حول كونه شخصياً الفاعل ليثبت اعترافه بالفعل بعد ذلك¹⁰.

ويعتمد علم الإجرام المعاصر في شروط قراءة الانفعالات داخل سياقها الطبيعي هو أن يكون المحقق ملاحظاً جيداً، ومقارنة سياق الكلام بما يصدر عن الجسد من حركات، ومعرفة السلوك العادي للشخص المحقق معه، والتمييز بين حالتي الراحة والقلق عند المشتبه فيه. وقد توصلت المحكمة العليا بالولايات المتحدة الأمريكية بموجب قرار في أوهايو، سنة 1968 يسمح لضابط الشرطة ودون الحاجة إلى مذكرة تفتيش بتوقيف أي شخص تشير سلوكياته بارتكاب الجريمة، مثل النشالين والمتسوقين من أجل السرقة بالمشي وفق هدف غير معروف والالتفاف يمنة ويسرة، ومشاهدة من يراقبهم، كأنهم يتسوقون دون هدف¹¹.

3. البروكسيميك وتطبيقاتها في الفكر الفلسفي المعاصر

تجد البروكسيميك تطبيقات معاصرة لها مثل الكينيزياء في علم الإجرام المعاصر، ولأجل ذلك سوف نتعرف على مفهوم "البروكسيميك" أولاً ثم نمر إلى تطبيقاتها في علم الإجرام.

1.3 مفهوم البروكسيميك

نشير أولاً من حيث المصطلح أن البروكسيميك (Proxemics) هي دراسة لاستخدام البشر لحيزهم وتنظيمهم للمسافة بينهم وبين، وهي مسافات تكون مشتركة بين الإنسان والحيوان. أما من حيث الترجمة فإن المصطلح الحالي "بروكسيميك" له أكثر من ترجمة في اللغة العربية منها: الأريضية، والإقليمية، وعلم دراسة المسافة والمكان، وعلم دراسة الحيز البشري، وعلم القرب بُعيدية، وعلم التداني، وعلم المساحة البشرية، وعلم العلاقة بالمسافة، وعلم التقارب، علم التداني، وعلم دراسة المدى التفاعلي وخطوط التماس الاجتماعي.

وتعود أصوله إلى الباحث الأمريكي "إدوارد ت. هول" (1914 – 2009) (Edward T. Hall)، والذي يرى بأن كل كائن حي في هذا الكوكب بدءاً من الخلية إلى الإنسان وصولاً إلى الماكروبيولوجيا له احتياجات مكانية متعلقة بحريته وأمنه وراحته وتكون امتداداً لجسمه، فشخصية الإنسان لا تتوقف عند الجسد، وإنما تمتد إلى الحيز الجغرافي الذي يحيط بالجسد فيعبر دخول الحيز على معنى الود والقرب أو العدوان. وهذا الحيز الجغرافي عبارة عن فقاعة أو مجال أو مدى يوفر مساحة وأمن للكائن الحي فيدافع عنه كحاجة بيولوجية لها ما يبررها في علم سلوك الحيوان لأنه كائن حي متشبث بإقليمه فيما يسمى بـ "الإقليمية". وبتعرضه للخطر فإنه يبدي ثلاثة ردود فعل أساسية هي: الهروب والهجوم والتجمد. فالهروب وابتعاد الكائن الحي عبارة عن ترك مسافة بينه وبين مصدر الخطر وهو بالنسبة للحيوانات المتوسطة الحجم والقوة، والهجوم بالنسبة للحيوانات القوية التي تحتاج مسافة أكبر من الحيوانات المتوسطة الحجم، وذلك كون أن الحيوان القوي بحاجة إلى مسافة أكبر بالنظر إلى حجمه وقوته وإن تطلب الأمر التعدي على مسافة الحيوانات الأخرى في إطار الصراع من أجل البقاء. أما الحشرات والكائنات الصغيرة والضعيفة فتتجمد في مكانها متألمة مع الخطر كما لو كان التجمد موتاً مؤقتاً وآلية دفاع حيوانية. وحسب "إدوارد هول" صاحب نظرية البروكسيميك فالحيوان يتغير سلوكه حسب المسافة، فقد يمرض وقد يموت، وقد يبدي سلوكاً عدوانياً متى ما تغيرت المسافة بينه وبين حيوان آخر، ومثاله أن أنثى أي حيوان متى ما وضعت صغارها في إقليم ما فإنها تعتبر ذلك الإقليم امتداداً لها، وجسداً لها ولصغارها وتقع عليها مسؤولية حمايته فلا تترك أي كائن آخر يقترب منه¹².

ويقسم هال المجال إلى أربعة أقسام هي:

1. المدى شديد الخصوصية: كمنطقة يحرسها الإنسان ولا يسمح لأي بدخولها أو بالالتصاق به وترمز لكرامته ولشخصيته، ويعد دخول شخص ما في هذا المدى لمعنيين إما أنهم مقرب جداً أو متطفل ومعتد.

2. المدى الشخصي: يتراوح من 46 سم إلى 120 سم.

3. المدى الاجتماعي أو البروتوكولي: بين 120 سم إلى 3 أمتار.

4. المدى العام: الذي يتراوح من ثلاثة أمتار فما أكثر¹³.

ويشير "إدوارد هال" إلى أن فكرة العدوان تنبع أصلاً من فكرة الخوف من اقتحام المكان كمسافة غير مرئية يتهاون فيها الأشخاص¹⁴.

أما من الناحية التاريخية فإن هذه الفكرة تجد ما يبررها في الفكر الإسلامي من حيث أن امتداد الجسد لا يتوقف عند الجسد وإنما يمتد إلى ما وراء الجسد، فيوجد حكم فقهي يمنع قطع رقبة المصلي كدلالة على أن المسافة بين المصلي ومكان سجوده هي مسافة مقدسة لا يجوز الاقتراب إليها كنوع من أنواع الحميمية التي يمثل الدخول إليها عدواناً على المصلي. من جهة وهو مبحث وإن لم يسمه الفقه بهذا الاسم إلا أنه قد وجد مجالاً خصباً في التراث الإسلامي تحت عنوان "الأداب" أو "الإتيقا" كنوع من أنواع التنظيم المكاني للبيت والمسجد وغيره من الأماكن بسن قواعد ملزمة لا يجب للإنسان أن يتجاوز الحدود المفروضة عليه.

2.3 تطبيقات "البروكسيميك" في الفكر الفلسفي المعاصر:

وجدت "البروكسيميك" مثلها مثل "الكينيزياء" مجالاً خصباً لها في علم الإجرام المعاصر كفرع معرفي متخصص في الجريمة ، وقد تم توظيف هذه النظريات فصار لها بعد براغماتي ، إذ يعتبر طرح السؤال على المشتبه فيه أو المتهم متزامناً مع حصره بواقعة ما كفرضية، مهمة تقع على "البروكسيميك" لتأكيد الفرضية أو نفيها عن طريق الاستجابة بالمواجهة أو الهروب متى ما شعر المشتبه فيه بالخطر بمحاصرته بفكرة الحقيقة التي يحاول إخفاءها. وتظهر مهارة المحقق سواء كان ضابطاً أو قاضياً من خلال تمرسه في دراسة الانفعالات وعلاقاتها بحركات الجسد التي تسوق الجسد في ثلاثة خانات هي عبارة عن ثلاثة ردود فعل أولية لدى الكائن الحي ككل ولدى الإنسان، ومنها انفعال الغضب المرتبط أصلاً بهرمون التستستيرون. فالشخص

الغاضب يسارع عادة إلى الإمساك بشيء تعبيراً عن غضبه بمسك سلاح أو شيء لضرب خصمه أو ضربه مباشرة، وهو يكبح الخوف ويعزز العدوانية. فمحاولة لمس اللحية بين الفينة والأخرى عبارة عن غضب مكبوت يحاول الشخص المتهم إخفائه عندما يكون محل مواجهة بحقيقة كان قد أخفاها¹⁵.

كما أنه يمكن التعرف على سخرية وتهكم المشتبه فيه ثقة بنفسه ومهارته في إخفاء الحقيقة واستخفافاً بالمحقق، وذلك من خلال النظر والابتسامة. فالنظرة لدى الشخص المتهم نظرة مجردة لا يرى فيها أي ميل ولا تغصن في زاوية العينين، بينما ترافق هذه النظرة المجردة ابتسامة تظهر أسنانه العليا عادة¹⁶.

كما أن شعور الخوف المرتبط بهرمون الأدرينالين وهو الهرمون المسعى بهرمون "الكر والفر" أين يمكن التعرف شكلياً على نسبة ارتفاعه في الجسم باتخاذ حركات الهروب بملاحظة بعض التفاصيل منها شبك الذراعين أثناء الجلوس أو حتى الوقوف كحماية للمجال الخاص من الآخر الذي يعتبره المشتبه فيه أو الشخص محل التحقيق مصدر خطر. فالإنسان عبارة عن مساحة ساكنة هي الجسد، ومساحة متحركة هي حركات الجسد كمسافة ابتعاد أو اقتراب. ومثال ذلك أن النساء المشتغلات بالدعارة والبيغي من الفئة التي تعطي لنفسها الحق في الاقتراب من محدثها وتلمسه دون أن يشكل ذلك مشكلاً لديها.

ومثال آخر فيما تعلق بشبك الذراعين عند الصدر في كل مناسبة، فجزء كبير من حركات وإيماءات الجسد مخصص لحماية المجال الشخصي للإنسان، ولذلك فإن إنتاج الحركات الدفاعية بابتعاد الساقين إلى الوراء أثناء الجلوس، وعدم تقديمها للأمام، حركة لا واعية تعبر عن خوف وعن حركات دفاعية عند مواجهة الشخص محل التحقيق بواقعة مفترض أنها الواقعة الحقيقية. لذلك يجب على ممارسي التحقيق من الضباط والقضاة التحكم في قدرتهم على ملاحظة كل حركة ومسافة صادرة عن الجسد. فحركة تراجع القدمين للوراء والمشتبه فيه جالس وجمع الذراعين على الصدر هو الحركة الواضحة المعبرة على وضع دفاعي تجاه خوف أو خطر، وهو تحذير يحمل الرسالة الآتية: "لا تتجاوز حدودك"، أو وضعية عادية خارج مجال التحقيق في التجمعات العامة أين يفهم منها معنى: الرفض، والحذر، وأن الشخص يضع لنفسه حدوداً للآخرين، وبأنهم لن يمروا منها، وهي تمثل صورة الحارس الليلي عند أسوار المدينة في القصص والأفلام¹⁷.

ويمكن فك شيفرة الجريمة من خلال التعرف على انفعال الحقد كشعور عنيد وقديم ملاصق لصاحبه، ويعود لفترات سابقة، يمكن التعرف عليه من خلال سبر أغوار تاريخ المشتبه فيه والضحية.

فالحاقد عادة ينتظر طويلاً وأحياناً السنوات قبل أن يعبر عن حقه كشعور شخص مهان أو يرى نفسه مهاناً تجاه موقف أو شخص ما، فاقداً احترامه بسبب الضحية مثلاً، وعاش سنوات لا يعرف التسامح، ويعيش على الرغبة في الانتقام. ويمكن التعرف على انفعال الحقد من خلال الوقوف في حيز الضحية مطولاً رغم شعور الخزي ورغم رفض الضحية فراضاً وجوده على من يرفض أصلاً هذا الوجود، ولذلك كانت أغلب جرائم قتل الأزواج من طرف الأزواج، ولذلك يتضح أن المسافة بين الضحية والمشتبه فيه، أو المسافة بين المحقق والشخص محل التحقيق تبين عدة ملابسات في الجريمة مما يتعين معها اعتبار هذا المبحث إفادة في علم الإجرام المعاصر.

4. **خاتمة:** تضمن تعرفنا فيما سبق أن لغة الجسد (Body Language) لم تكن فقط عبارة عن مجموع انفعالات وإنما فرعاً معرفياً وجد أصوله في علم البيولوجيا عن طريق مقارنة سلوك الحيوان مع سلوك الإنسان وإيجاد أرضية مشتركة فيما تعلق بالتعبير عن الانفعالات بواسطة لغة الجسد من جهة، وهو مبحث الكينيزياء، واستخدام المسافة وهو مبحث البروكسيمكا.

توصلنا إلى أن هذا الفرع الذي انتقل الاهتمام به إلى مجال اللغة ومجال التواصل وجد مجالاً خصباً في مجال علم الإجرام المعاصر باعتباره حقلاً ضرورياً لكل من يشتغل في قطاع الأمن والعدالة بالبحث عن الجريمة والتحقيق فيها وكشف ملابساتها وإحقاق الحقوق وإنصاف العدالة. ولأجله فقد مر علينا أن المباحث الفيدرالية الأمريكية في مجال التحقيق كانت متقدمة جداً بناءً على النظام الإجرائي الجزائي التابع له، تماشياً مع خطورة الجريمة وتوسع مجال الحقوق والحريات. وقد بين علم الإجرام المعاصر أن استخدام الكينيزياء قد مكن في عديد من المرات في الوصول إلى كشف الحقيقة رغم كذب المشتبه فيه ورغم تمسكه بحقه في التزام الصمت أو الكذب. وتوصلنا أيضاً إلى أن المسافة التي يتخذها المشتبه فيه والضحية أو مسافة الأمان بين المحقق وبين الشخص محل التحقيق مهمة جداً أخذاً بعين الاعتبار قدرة المحقق في تسجيل كل الحركات الجسدية التي تبدر من المشتبه فيه، وهو الموضوع الذي بدأ يظهر في الدراسات المعاصرة العقابية أو الإجرامية بحثاً عن حل أوحده للجريمة، وهذا برز لنا أن نظريات كشف الكذب عن طريق لغة الجسد ذات مظهر براغماتي يكمن في تفعيل الياتها في مجال علم الإجرام المعاصر.

5. الهوامش:

- ¹جو نافارو وكارل انز مافين، ما يقوله كل جسد، ط. 2 (الرياض: مكتبة جرير، 2010)، ص. 184.
- ²المرجع نفسه، ص. 188.
- ³جوزيف ميسنجر، المعاني الخفية للغة الجسد، ترجمة محمد حسين شمس الدين (بيروت: دار الفراشة، 2006)، ص. 167.
- ⁴المرجع نفسه، ص. 199.
- ⁵المرجع نفسه، ص. 201.
- ⁶المرجع نفسه، ص. 204.
- ⁷المرجع نفسه، ص. 210.
- ⁸ديب شايبرو، جسمك يتحدث اسمع، ترجمة الفراء عون (لبنان: دار الفراشة، 2009)، ص. 57.
- ⁹جوناثان، ما يقوله كل جسد، ص. 2.
- ¹⁰المرجع نفسه، ص. 14.
- ¹¹المرجع نفسه، ص. 28.
- ¹²ديفيد غيفنز، لغة الحب الصامتة ومعانيها، ترجمة سعيد الحسنية (لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2009)، ص. 210.
- ¹³إدوارد تارشيت هال، البعد الخفي، ترجمة لميس اليحيى، ط. 1 (عمان: دار الأهلية، 2007)، ص. 67.
- ¹⁴جوزيف ميسنجر، المعاني الخفية لحركات السياسيين، ترجمة دعتيل الشيخ حسين وعبير منذر (بيروت: دار الفراشة، 2006)، ص. 318.
- ¹⁵ميسنجر، المعاني الخفية لحركات السياسيين، ص. 334.
- ¹⁶المرجع نفسه، ص. 340.
- ¹⁷المرجع نفسه، ص. 325.

6. قائمة المراجع:

1. شايبرو ديب (2009)، جسمك يتحدث اسمع، ترجمة الفراء عون، لبنان، دار الفراشة.
2. غيفنز ديفيد (2009)، لغة الحب الصامتة ومعانيها، ترجمة: سعيد الحسنية، لبنان، الدار العربية للعلوم ناشرون.
3. ميسنجر جوزيف (2006)، المعاني الخفية للغة الجسد، ترجمة: محمد حسين شمس الدين، لبنان، دار الفراشة.
4. ميسنجر جوزيف (2006)، المعاني الخفية لحركات السياسيين، ترجمة دعتيل الشيخ حسين و وعبير منذر، بيروت.
5. جوناثان وكارل انز مافين (2010)، ما يقوله كل جسد، ط. 2، السعودية، مكتبة جرير.
6. هال إدوارد تارشيت (2007)، البعد الخفي، ترجمة لميس اليحيى، ط. 1، الأردن، دار الأهلية.